دلالات ومضامين الكتابات الأثرية بمسجد أبي الحسن التنسي بتلمسان (696هـ/1297م)

Semantics and contents of archaeological writings in the mosque of Abi Hassan al-Tansi in Tlemcen (696 H/1297 Ac)

د. سهام مجدوب

أستاذ محاضر – ب –

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

sihemmedjedoub@yahoo.fr

ملخص:

تُجسد الكتابات الأثرية في جامع أبي الحسن التنّسي بوصفها برنامجاً كتابياً زخرفياً ذا وظائف متعدّدة تتكامل فيها الغاية التوثيقية والجمالية معاً، حيث تؤدي دورا تأسيسيا/تأريخيا تُثبِّت من خلاله تاريخ الجامع وطابعه الفني، إضافة إلى وظيفة الأوقاف المنظمة لموارد ومرافق المسجد وتُشريعات استعمالاته، ضف إلى ذلك الغرض الديني والإرشادي بحسب تنوّع الصيغ والعبارات القرآنية، البسملة والتصلية.

و تظهر من خلال هذه الدراسة عدة عناصر تحليلية لمضامين هذه الكتابات سواء من حيث تتبّع تنوّع الخطوط وطرق التنفيذ وأماكن تموضعها في المبنى حسب الإطار الدلالي للنص (عقائدي، تاريخي، اجتماعي) وتكشف النصوص الوقفية بصورة خاصة عن صاحب الجامع وشبكة التمويل الوقفي السائدة، بما يجعلها مصدراً موثوقاً لكتابة جانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي خلال تلك الفترة. وفي المقابل تبرز النصوص الدينية كأداة تعليمية ترشد المصلّين لتصبح الكتابة منهج توجيهي يربط القول بهوية العمارة ووظيفتها في آن.

الكلمات المفتاحية: الكتابات الأثرية – الموضوعات الكتابية – جامع أبي الحسن التنسي

Abstract:

Archaeological writings are embodied in the Abu al-Hassan al-Tansi mosque as a writing-decorative program with multiple functions in which the documentary and aesthetic purpose are integrated together, where they play a foundational/historical role through which they prove the history of the mosque and its artistic character, in addition to the function of Endowments organizing the resources and facilities of the mosque and the legislation of its uses, in addition to

the religious and indicative purpose according to the variety of formulas between the Quranic verses, basmala and prayer.

Through this study, several analytical elements of the contents of these writings appear, both in terms of tracking the variety of fonts, methods of execution, and their places in the building according to the semantic framework of the text (ideological, historical, social). Waqf texts reveal in particular the owner of the mosque and the prevailing Waqf funding network, making them a reliable source for writing an aspect of economic and social history during that period. On the other hand, religious texts emerge as an educational tool that guides and preaches to worshippers, so that writing becomes a guiding method that connects the saying with the identity and function of Architecture at the same time.

Keywords: archaeological writings-Topics of calligraphy-Abu Hassan al-Tansi mosque.

المقدمة:

تمثل الكتابات الأثرية في المغرب الإسلامي مصدراً مهما لفهم تاريخ المنطقة من عدة جوانب، لكنها تحمل مضامين متعددة تتعلق بالخطوط المستخدمة والموضوعات السائدة مثل التاريخ السياسي، الديني، الاقتصادي، والاجتماعي. وبالرغم من أهميتها الغنية في توثيق تاريخ الحكام، الأوقاف، والمعتقدات الفكرية والعقائدية، إلا أن الدراسات الأكاديمية المتخصصة في تحليل هذه المضامين ومقارنتها ضمن سياقاتها التاريخية والمعمارية ما تزال محدودة نسبياً. لا تزال هناك فجوة معرفية في نقص فهم الأبعاد التأريخية والرمزية والاجتماعية لهذه الكتابات، مما يثير الحاجة لتأسيس منهجيات بحثية دقيقة تدمج بين التحليل الموضوعي للنص والاستقراء التشكيلي الفني له وربطه بالسياق الحضاري لتلك الفترة.

من أجل ذلك طَرَحَتْ هذه الدراسة تساؤلات عدة تمثلت في محاولةٍ لتحديد مفهوم مضامين النصوص والعبارات الأثرية المنفذة على عمارة جامع أبي الحسن التنسي (696هـ/1297م) خلال الفترة الزيانية، وضبط وظائفها المختلفة التي تعددت بين التأسيس والتأريخ والوقف والتمجيد إلى جانب البحث في أبعادها الفنية ضمن الفضاء المعماري للجامع زد على ذلك دراسة العلاقة بين النصوص الأثرية وبين سياقها المعماري والفني والسعي إلى استكشاف عمق وتأثيرات الكتابات الأثرية على المجتمع الإسلامي في المغرب الأوسط.

1- **مسجد أبي الحسن التنسي**: (مخطط -1-)

بني سنة 696هـ/1297م من قبل السلطان أبي سعيد عثمان[1] تخليدا لذكرى وفاة ولده إبراهيم يغمراسن بن زيان كما تنص الكتابة المنفذة على لوح الأونيكس بالجدار الغربي لقاعة الصلاة، لكن المسجد نُسِبَ للعالم والفقيه أبي الحسن بن يخلف التنسي ولا تتناقل الكتب ذكره بقدر الحديث عن أخيه أبو إسحاق إبراهيم التنسي[2].

يقع المسجد بمركز مدينة تلمسان فمن الجهة الشمالية نجد الساحة المركزية ومن الجانبين الشرقي والجنوبي تتوزع المحلات التجارية، أما بالنسبة للواجهة الغربية فنجد المركز الثقافي الفرنسي. يتربع على مساحة قدرها 98.94م، تُقَدر مساحة قاعة الصلاة بـ: 20.01م – 9.70م زد على ذلك المأذنة المربعة الشكل مع غياب للصحن. تتزين جدران القاعة بزخارف جصية تراوحت بين النباتية والكتابية والتي أخذت نصيبها الكبير من المساحة الزخرفية إضافة إلى الهندسية. صورة -1-

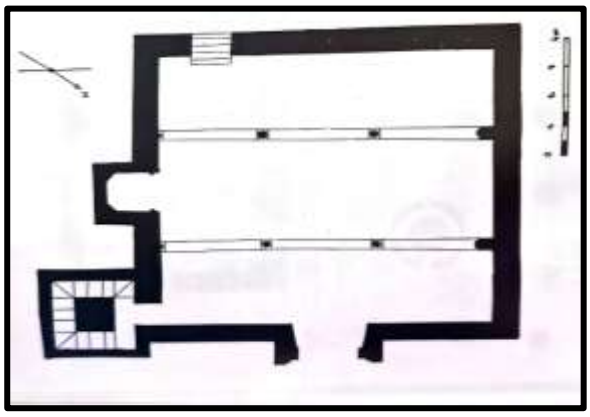

مخطط-1- قاعة الصلاة (عن: Bourouiba(R),p 223)

صورة -1- واجهات قاعة الصلاة (عن: الباحثة)

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج7 ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ص 112.ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: حاجيات عبد الحميد، ج1، الجزائر، المكتبة الوطنية،1980، ص ص 208،209.

[2] محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: بوعياد محمد، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص ص126،127.

2- الكتابات الأثرية:

تعتبر الكتابات الأثرية ذات أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية الاجتماعية الثقافية لما لها من صفة رسمية من خلال بعدها عن إمكانية التحريف والتزوير والمساعدة في نقل الحقائق عن المعتقدات الدينية والأفكار المذهبية والسياسية السائدة خلال الفترات السابقة أضف إلى ذلك الكنى، الألقاب والوظائف المعتمدة ومزج ذلك بأساليب فنية زخرفية من خلال تنوع الخطوط. [1]

أ- مفهوم الكتابات الأثرية:

الكتابة لغة من مصدر الفعل كتب، نأتي إلى ما ذكره القلقشندي[2]: «هو علم نَتعرَّفُ منه صور الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها خطا أو ما يكتب منها في السطور وكيفية سبيله أن يُكْتَبْ ومالا يُكْتَب وإبدال ما يُبْدَل منها وبماذا يُبْدَل» وبالنسبة للكتابة الأثرية فهي التي نقشت على مختلف العمائر (دينية، مدنية، عسكرية) وعلى مختلف الأسطح والمواد كالحجر والرخام والزليج والخشب.....[3]

ب- دلالات وأهداف الكتابات الأثرية:

هناك أهمية كبيرة في دراسة الكتابات الأثرية من مختلف النواحي التاريخية، الاجتماعية، الأثرية والفنية، لا سيما أنه من السهل اكتشاف التزوير فيها وصعوبة تحريف نصوصها. إلى جانب أنها تتصف بصفة رسمية لارتباط صيغتها بما يصدر عن الحكام مع خضوعها من حيث الكتابة لنوع الأثر والمساحة التي ستنفذ عليه، ولها دور كبير في التطرق للأحداث التاريخية ومعرفة المعتقدات الدينية والفكرية والألفاظ والكنى والألقاب والنسب والوظائف السائدة في تلك الفترة.

---

[1] مايسة محمود داوود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول إلى القرن الثاني عشر هجري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1991، ص ص 12-23 .

[2] القلقشندي علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، مصر، المؤسسة المصرية، 1963، ص4.

[3] بن قربة صالح، "مقدمة لدراسة الكتابات الأثرية المغربية في العصر الإسلامي"، مجلة الدراسات الأثرية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ع2، 1992، ص ص 53-64.

فيما يخص الوظائف والحرف فهي تسلط الضوء على النظم الاقتصادية من خراج وعقود بيع وقياس الأراضي والأوقاف والأسعار والمرتبات تُزَيَّنُ بمجموعة من الزخارف تبعث في النفس متعة روحية وذوقا فنيا. ومن خلال ما سبق يمكن دراسة الكتابات الأثرية من جانبين:

1- من حيث أشكال الحروف وأسلوب تنفيذها وتطورها الفني عبر العصور المختلفة.

2- بناء على مضامينها وموضوعاتها وعلاقاتها بالتاريخ والمجتمع واللغة...[1]

3- أنواع الكتابات الأثرية:

تنوعت الكتابات الإسلامية وتعددت حسب الموضوعات التي تميزها إضافة إلى الحيز المكاني المجسدة عليه ومن خلال ورقتنا البحثية سنقوم بدراسة النصوص النثرية المنفذة على أسطح عمارة مسجد أبي الحسن التنسي والذي احتوى على العديد من الصيغ والعبارات المتنوعة بحسب المواضع والغاية التي نفذت لأجلها.

أ- الكتابات التذكارية والتأسيسية (التخليدية):

الغرض منها التأريخ للإنشاء العمائر والتجديدات أو الترميمات والاضافات التي تنفذ على المبنى خلال فترات زمنية مختلفة والغرض منها الدعاية للسلطة الحاكمة وتتوفر هذه النصوص على معلومات تاريخية وألقاب سياسية وشرفية ومعطيات اجتماعية وثقافية. بالنسبة للعبارات التي تحدد ذلك نجد: أمر بعمله، أوصى ببنائه، جدد بناءه... أضف إلى ذلك ابتداء النص بالبسملة مع الآمر بالأشغال وتاريخ نهايتها[2]. صورة -2-

صورة-2- كتابة تأسيسية لمسجد أبي الحسن (عن: الباحثة - بالتصرف)

[1] مايسة محمود داوود، المرجع السابق، ص 20.

[2] عياش محمد، "ماهية الكتابات الأثرية وأنواعها في حضارة بلاد المغرب الإسلامي"، مجلة رفوف ، الجزائر، مج 8، ع 1، 2020، ص ص 63-64.

ب– الكتابات الوقفية:

نصوص توثق للوقف ويعتمد عليها في الإثبات والتقيد والالتزام بالحقوق، وفي كتب النوازل يطلق عليها نص التحبيس أو وثيقة التحبيس[1]. ومنها أنواع كالوقفيات على المساجد والمدارس والوسم على الدواب[2]و بالنسبة للعبارات المحددة لهذا النوع نحددها بالصياغات التالية: تحبيسا تاما، وقفا ثابتا، ويُستهل النص بالبسملة و التصلية(صلى الله عليه وسلم) مع ذكر اسم الواقف وألقابه، أضف إلى ذلك الموقوف (نوع المبنى أو العقار) والموقوف عليه (الجهة المستفيدة من الوقف)[3] صورة – 3–

صورة –3– وقفية مسجد أبي الحسن (عن: الباحثة – بالتصرف)

ج– الكتابات الدينية:

نسبة انتشار هذا النوع من الكتابات كبير على مختلف أسطح العمائر والمواد التطبيقية، أغلب مضامينها تذكيرية، إرشادية وتعليمية لمبادئ الشريعة الإسلامية، تعددت مواضيعها بين: الأيات القرآنية، الأحاديث النبوية، البسملة، الشهادتان، التصلية (صلى الله عليه وسلم)، أدعية، أسماء الله الحسنى، وعبارات: كالعافية، اليُمن، العِزة،....[4]

[1] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الأندلس والمغرب، إشراف: حجي محمد،ج7، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الرباط ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1981، ص 293.

[2] ابن قيم الجوزية محمد، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ت: نايف بن أحمد، مج 1،السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص 562.

[3]عياش محمد، المرجع السابق، ص 65.

[4]بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: شبوح إبراهيم، تلمسان، وزارة الثقافة،2007، ص 77.

4- الكتابات المنفذة بجامع أبي الحسن التنسي:

النص -1-	
نوع النص	تأسيسي (تخليدي)
الموضع	شريطين كتابيين ضمن خرطوشتين أسفل عقد المحراب من الجانبين الأيمن والأيسر
المادة/ تقنية التنفيذ	الجص بتقنيتي البارز والغائر
نوعية الخط	كوفي
عدد الأسطر	سطر واحد لكل من الجانب الأيمن والأيسر لعقد المحراب
حالة الحفظ	سليم وتام
النص	1- بني هذا المسجد الأمير أبي عامر إبراهيم ابن السلطان أبي يحي 2- يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله. لوحة -1-

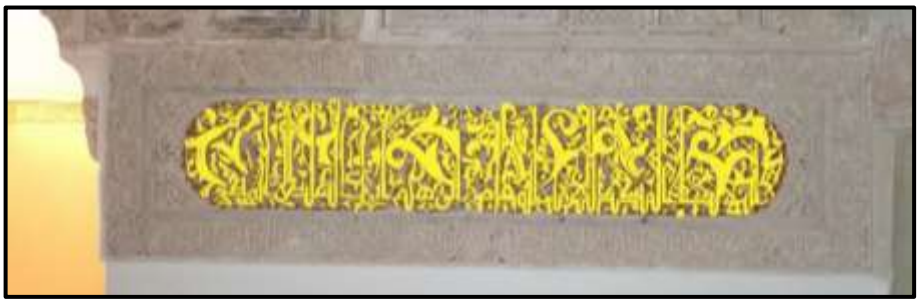

لوحة –1– الشريطين الأيمن والأيسر للكتابة التأسيسية للجامع. (عن: الباحثة – بالتصرف)

النص –2–	
نوع النص	تأسيسي / وقفي
الموضع	أعلى الجدار الغربي من حائط القبلة
المادة/ تقنية التنفيذ	رخام الأونيكس بتقنية البارز
نوعية الخط	ثلث مغربي
عدد الأسطر	أربعة أشرطة على طول المستطيل وعشرة أسطر في مركز اللوحة
حالة الحفظ	سليم وتام
النص الأول	1– بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما 2– بنى هذا المسجد للأمير أبي عامر إبراهيم ابن السلطان 3– أبي يحيى يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستماية من بعد وفاته رحمه الله
النص الثاني	1– وحبس لهذا المسجد 2– عشرون حانوتا منها بحايط قبلته 3– أربعة عشر وأمامها ستة

	4- أبوابها تنظر للجوف 5- ومصرية بغربي المسجد على باب 6- الدرب وداران ثنتان بغربيه 7- الواحدة لسكنا امامه والثا 8- نية لسكنا الموذن القيم بخدمته 9- واذانه تحبيسا تاما موبدا 10- احتسابا لوجه الله العظيم الشريط الرابع الأسفل: ورجا ثوابه الجسيم لا إله إلا هو الغفور الرحيم. صورة – 4-

صورة -4- الكتابة التأسيسية والوقفية للجامع. (عن: الباحثة - بالتصرف)

النص -3-	
نوع النص	ديني (آيات قرآنية)

الموضع	أشرطة كتابية تحيط بعقد المحراب
المادة/ تقنية التنفيذ	الجص بتقنيتي البارز والغائر
نوعية الخط	كوفي
عدد الأسطر	ثلاثة أشرطة على طول عقد المحراب
حالة الحفظ	سليم وتام
النص	1- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد 2- وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا شكل-1- صورة -5- 3- وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ [1]

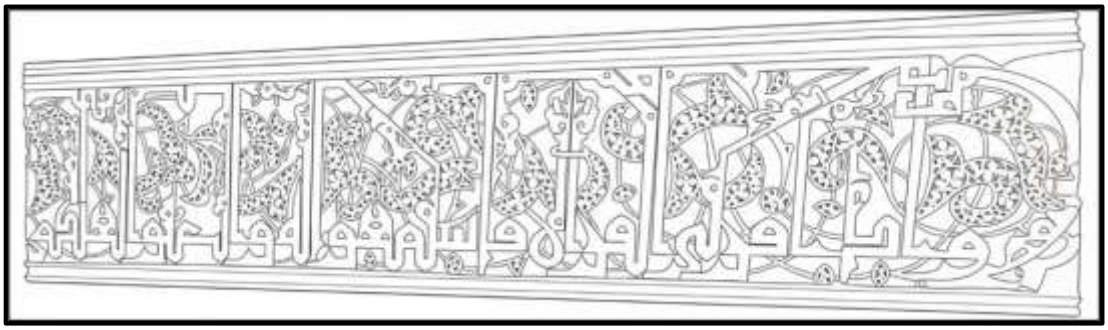

شكل -1- شريط كاتبي أعلى عقد المحراب. (عن: الباحثة - بالتصرف)

[1] سورة الأعراف، الآية: 205.

صور –5– كتابات شريط المحراب العلوي. (عن: الباحثة)

النص – 4–	
نوع النص	ديني (آيات قرآنية)
الموضع	أشرطة أسفل رقبة قبة المحراب
المادة/ تقنية التنفيذ	الجص بتقنية البارز
نوعية الخط	نسخي مغربي
عدد الأسطر	ثمانية أشرطة
حالة الحفظ	سليم وتام
النص	1– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم 2– بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد 3– وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ صورة– 6 –

	4- وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا 5- وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ 6- مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ 7- وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا[1] 8- صدق الله

صورة -6- شريط كتابي تحت رقبة قبة المحراب. (عن: الباحثة – بالتصرف)

النص – 5-	
نوع النص	ديني (الشهادتان)
الموضع	جامة مربعة أسفل جانبي عقد المحراب
المادة/ تقنية التنفيذ	الجص بتقنيتي البارز والغائر

[1]سورة النساء، الآية: 125-126.

نوعية الخط	ثلث مغربي
عدد الأسطر	أربعة أسطر
حالة الحفظ	سليم وتام
النص	- لا إله إلا الله محمد رسول الله (مكررة) صورة -7-

صورة -7- جامة مربعة. (عن: الباحثة - بالتصرف)

النص -6-	
نوع النص	عبارات دينية
الموضع	جامة على هيئة تشبيكات مُعَينات كجزء من العقود الصماء الموزعة على حوائط قاعة الصلاة.
المادة/ تقنية التنفيذ	الجص بتقنيتي البارز والغائر

نوعية الخط	كوفي
عدد الأسطر	سطر واحد
حالة الحفظ	سليم وتام
النص	- اليمن . صورة -8-

صورة -8- عبارة اليمن (عن: الباحثة - بالتصرف)

خاتمة:

- تؤكد الدراسة على أنّ الكتابات الأثرية المجسدة على أسطح جامع أبي الحسن التنسي ليست مجرد زخرفة تزيينية بقدر ما هي برنامج كتابي زخرفي يحمل وظائف معرفية تأريخية وجمالية متداخلة، ويعكس البنية السياسية والدينية والاجتماعية للزيانيين في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

– ضبطت الكتابات الأثرية وصُنفت من قبل الباحثين لتمييز مستويات التحليل بين تقنيات التنفيذ وأشكال الخطوط وبين مضامينها ودلالاتها الوظيفية.

– تتجاور وتمتزج النصوص التأسيسية/التذكارية مع الوقفية والدينية ضمن أشرطة وجامات تزين واجهات قاعة الصلاة للجامع لتعمل كحدود بصرية من أجل تنظيم القراءة وربط مختلف النصوص بقدسية المسجد.

– يُنتقى النص بحسب التموضع والوظيفة (واجهة المحراب/العقود الصماء) ويُنفّذ بخطوط تلائم الحيز المكاني ضمن صيغ التصلية والوعظ الديني والتمجيد لتؤدي وظيفتها الإرشادية التربوية.

- من إحدى دلالات النصوص الوقفية المنفذة قيامها بوظيفة تذكيرية وتعليمية حول شرعية المبنى لتضمن استدامة التمويل الوقفي، وتنقل القيم الشرعية داخل نسيج الجامع ومحيطه التجاري.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج7، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996.

2- ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: حاجيات عبد الحميد، ج1، الجزائر، المكتبة الوطنية،1980.

3- ابن قيم الجوزية محمد، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ت: نايف بن أحمد، مج 1، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

4- التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: بوعياد محمد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

5- القلقشندي علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، مصر، المؤسسة المصرية، 1963.

6- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، إشراف: حجي محمد،ج7، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1981 .

- **المراجع:**

1- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: شبوح إبراهيم، تلمسان، وزارة الثقافة،2007.

2- داوود محمود مايسة، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول إلى القرن الثاني عشر هجري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1991.

3- بن قربة صالح، "مقدمة لدراسة الكتابات الأثرية المغربية في العصر الإسلامي"، مجلة الدراسات الأثرية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ع2، 1992.

4- عياش محمد، "ماهية الكتابات الأثرية وأنواعها في حضارة بلاد المغرب الإسلامي"، مجلة رفوف ، الجزائر، مج 8، ع 1، 2020.

- **المراجع الأجنبية:**

1- Bourouiba(R), L'art religieux en Algérie, Alger, S.N.E.D,1983.